الدكتور شوقي أبو خليل

قراءة علمية للقراءات المعاصرة

دار الفكر
دمشق - سورية

قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية

إنَّ القراءات المعـــاصرة التي ارتكـزت ، أو بُنيت ، أو تبنَّت نظريــات منهـــارةً ، هي قراءات معاصرة منهارة .

فهي قراءات تريد إيقاف ركب التَّقـدُّم العلمي ، لبقـــاء فلسفتهـــا ورؤاها ، وتتعامى عن حقـائق العلم الحــديث وفلسفتـــه ، وتُصرُّ على إيصـاد بـاب البحث العلمي ، ليقف وإلى الأَبـد قُبَالـة (ديـالكتيـك) منهار .

واستناداً لمحاكمـة عقليـة سليمـة ، يمكن القــول : ليس كلُّ جـديــد (مبهرج في قراءات معـــاصرة) يُــؤْخَـذ ، وليس كلُّ قـديم (مُحْكم ثابت نهجاً ودراسة) يُنْبَذ .

قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية
قراءة علمية



قراءة علمية

للقراءات المعاصرة

الدكتور شوقي أبو خليل

قراءة علمية
للقراءات المعاصرة

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٨٣٧
الطبعة الأولى ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧ ، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

تَمْهيدٌ : من الحقـائـق الَّتي أصبحت معروفـة لاتقبـل الرَّيب ، أن مصـادر الشَّريعـة الإسـلاميَّـة الَّتي هي القرآن والسُّنَّة والإجماع والقياس ، بالإضافـة إلى مصـادرهـا التَّبعيَّـة المعروفـة ، قـد أكسبت هـذه الشَّريعـة صـلاحيَّـة مستمرة ، واستجابة دائمة لسـائر المصـالح والمتطلَّبـات الإنسـانيَّـة ، مهما اتَّسعت أو تطوَّرت .

غير أنَّ من الحقائق الَّتي لم تَعُد خافيـة أيضـاً عن كلِّ ذي زاد من الثَّقافـة الإسلاميَّـة ، أنَّ استيعـاب مصـادر الشَّريعـة الإسلاميَّة لهذه المتطلَّبـات والمصـالح ، قـائم على أسـاسٍ علميٍّ دقيق ، يتلخَّص معظمـه فيما يسمَّى بقواعـد تفسير النُّصوص ، وهو فنٌّ حيـاديٌّ مستقل برأسـه ، يشكِّـل الميزان الَّـذي لا بـدَّ من تحكيمه للرَّبط ما بين النَّص والمعنى المراد منه .

ومن هنا فإنّ معنى صلاحيَّة الشَّريعة الإسلاميَّة لكلّ زمان ومكان ، ليس كما يتصوَّره بعض الجاهلين أو المتجاهلين ، من أنَّها تشبه الوعاء الَّذي يستطيع أن يملأه صاحبه بكلّ ما يريد ، وأن يفرغه من كلّ ما لا يريد ، بل معنى هذه الصَّلاحيَّة أن مصادرها الأصليَّة والتَّبعيَّة مثقلة بالدّلالات والمعاني المتَّفقة مع الحاجات الحقيقيَّة للإنسان ، غير أن فهم هذه الدّلالات متوقِّف على تحكيم ذلك الميزان العلمي الَّذي يسمَّى بقواعد تفسير النُّصوص ، وهو كما قلنا ، منهج علمي حيادي ، ينبثق من قانون الدّلالات وقواعد فقه اللُّغة ، وما يسمَّى بتحقيق المناط ، وتخريج المناط ، وتنقيح المناط .

ولقد وعى المسلمون في عصور ازدهارهم الحضاري ، هذا المنهج العلمي في فهم الشَّريعة الإسلاميَّة ومصادرها الأصيلة والتَّبعيَّة ، وحكَّموه في سلوكهم الإسلامي وتطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة ، فدفعت بهم في مدارج التَّطوُّر الحضاري ،

ويسَّرت لهم بلوغ سائر المتطلّبات الإنسانيَّة والمصالح الفرديَّـة والاجتماعيَّة خلال سائر العصور .

ولم يتوقَّف هذا التَّطوُّر المتصـاعـد ضمن المنهج الإسلامي السَّليم ، إلاَّ عنـدمـا تراجعت المعـارف والعلوم الإسـلاميَّـة في الثُّلث الأخير من الخلافة العثمانيَّة ، لأسباب لا مجال لذكرهـا في هـذا المقـام ، وصـاحَب ذلـــك إعراضٌ عن الإسـلام ، بـل مخطَّطات هائلة ، وُضِعَت ابتغاء الكيد له ، والقضـاء عليـه ، فتضافر العـاملان على تجميـده وطيِّ ملفِّـه ، والاكتفـاء منـه بصورة وأُطُر وشعارات ..

إلاَّ أنَّ العالم العربي والإسلامي يشهد اليوم تجاوزاً لهذين العـاملين ، وعوداً حميـداً إلى دراسـة معمَّقـة للإسلام بمصـادره ومضامينه ، الأمر الَّذي إن لم نقل إنَّه يسَّر العود إلى الاجتهاد الفردي ، فإنَّنا نقول بجدٍّ يسَّر السَّبيل إلى الاجتهاد الجمـاعي ، وما المجـامع الفقهيَّـة المنتشرة في عـالمنـا العربي والإسلامي بمـا تصدره من اجتهـادات مستمرة ، في كلِّ مـا يجـدُّ من القضـايـا والمصالح الإنسانيَّة ، إلاَّ مظهر مشرِّف لهذه الحقيقة .

إن كسر الجمود ، والعود إلى الاجتهاد ضمن منهجه العلمي السَّديد ، ليس أمراً مطروحاً فحسب ، بل هو اليوم حقيقة قائمة مطبقة ، ولكن مخططات الغزو الصَّليبي الإلحادي ، تسعى في تحركات عاجلة مضطربة لإجهاض هذا التَّقدُّم الحضاري الذي تبشِّر به النَّهضة الإسلاميَّة اليوم ، والَّذي سما بتاريخ هذه الأُمَّة بالأمس .

والغزو الفكري أو الصَّليبي ، تعبير دقيق لمعركة لا نسمع فيها صليل السُّيوف ، ولا أزيز الرَّصاص ، ولا أنين الجرحى ؛ معركة صامتة ، تريد أن تصرع الأُمَّة فكريّاً ، فيسهل انهيارها بعد أن تنحرف عن أصالتها .

حرب مبرمجة ، وكتب ونشرات كاذبة ، قادرة على تزوير الحقائق ، لأَنَّ الفكر الأصيل يعاني أبناؤه إمَّا من عجز الإمكانات ، وإما من سطحيَّة الأبناء .

حرب شمَّرت عن ساقها ، ولن تضع أوزارها ـ في اعتقادها ـ حتَّى تترك ضحاياها من شباب أُمَّتنا بين أسير ،

أو قتيل ، أو كسيح ، حرب كحرب السّلاح تماماً ، أو هي أشدُّ فتكاً ، خصوصاً بعد أن أخذت على عاتقها تحقيق ماأراده مؤتمر التَّبشير الَّذي عُقِد في القاهرة برئاسة صموئيل زويمر[1] سنة ١٩٠٦ م : « لابُدَّ للشَّجرة من أن يقطعها أحد أعضائها »[2] ، أي تهديد الحصون من داخلها ، بواسطة دِعِيٍّ من المسلمين أنفسهم ، فمن زمن لويس التَّاسع[3] ، إلى بشارة تقلا ، إلى جرجي زيدان ، إلى سلامة موسى ، إلى لويس عوض ، مروراً بطه حسين ، وأحمد لطفي السَّيِّد ، أبواق مستمرة ، تُصمُّ آذان شبابنا ، موظفة لتحمل إليهم الشُّبهات ،

---

(١) صموئيل زويمر (Zwemer) : [١٨٦٧ - ١٩٥٢ م] ، مبشّر أمريكي حاقد ، رئيس بعثات التَّبشير في المشرق ، حرَّر مجلة (العالم الإسلامي) ، والَّتي عُرِفَت بعدائها السَّافر للإسلام والمسلمين .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ، ص : ٤٦ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٣) لويس التَّاسع : [١٢١٤ - ١٢٧٠ م] ، قاد الحملتَيْن الصَّليبيَّتَيْن السَّابعة والثَّامنة ، أُسِرَ في مدينة المنصورة (في دلتا مصر) سنة ١٢٥٠ م ، توفي بالطَّاعون أثناء حملته الصَّليبيَّة على تونس .

والـدَّسـائس ، والمعـاولِ الهـدَّامـة الَّتي يُحرِّكهـا الاستشراق والتَّبشير والمادِّيَّة الملحدة .

☆ ☆ ☆

مخطَّطات الغزو الفكري :

طريقـة طريفـة في تقرير الـوقـائـع : هـذا هـو الرَّأي الصَّحيح ، وإن لم تقبله ، فأنت سلفيٌّ متخلِّف ، غابت عنك الحقيقة ... طريقـة طريفـة في تقرير الوقـائع ، يرى بعضهم فيها وسيلة كفيلة بإقناع الأُلوف من السُّذَّج ، وخطَّة لخـداع الجمهور لكي يصلـوا إلى الغـايـة المنشـودة ، ومنـذ مطلـع هـذا القرن ، كشف (خوجة كمال الدين)[4] هذه الخطَّة بقوله :

وإليـكَ بيـان الطَّريقـة الَّتي دأبـوا عليهـا في نقـد الدِّيانـات ؛ يشير أحـدهم إلى فكرة من طرفٍ خفيٍّ ، ويليـه

(٤) في كتـابـه : (المثـل الأعلى في الأنبيـاء) ، ص : ٢٨ ، من الطَّبعـة العربيَّة ، والطَّبعتـان العربيَّـة والإنجليزيَّـة طبع دار الفكر بـدمشق ، ودار الفكر المعاصر ببيروت .

آخر فيقرِّر أنَّ هذه الفكرة جائزة ، ويـأتي ثـالث فيرفع هـذا الجواز إلى مرتبـة (النَّظريَّــة) ، وأمَّــا الرَّابـع فيخلـق من النَّظريَّة (حقيقة) ، وهكـذا تتطوَّر الفكرة أربعـة أطوار أو خمسـة ، حتَّى ينتهي بهـا المطـاف إلى أن تصبـح حقيقـة مقرَّرة .

ومثال ذلك : ادَّعى الدكتور ألفونس منجانـا[٥] أنَّـه عثر على ترجمــة سُرْيــانيَّــة للقرآن الكريم ، فيهــا أجـزاء ليست موجودة في النُّسخ العربيَّة ، يريد بذلك أن يوهم القارئ أنَّـه ربَّما ضاع شيءٌ من القرآن ، وكان الدكتور منجانا قـد حـاول من قبل أن يشكِّك في صحة القرآن ، فباء بالفشل الـذَّريع ،

(٥) ألفــونس منجــانــا : (Alphonse Mingana) : [١٨٨١ ـ ١٩٣٧ م] مستشرق ، كان أبوه قسِّيساً من قساوسة الكنيسة الكلدانيَّة المتَّحـدة مع رومة ، وتعلَّم من ١٨٩٣ إلى ١٩٠٣ في المعهد السُّرياني الكلداني للـدَّعوة في الموصل ، سافر إلى لندن سنة ١٩١٠ ، وعمل في مكتبة جون رايلند الشَّهيرة بمخطوطـاتهـا العربيَّـة والسُّريـانيَّـة ، [موسوعـة المستشرقين ، ص : ٣٩٨] .

لذلك تراه بعدها يحاذر أن يجازف برأي ، بيد أن (وضع العربة أمام الجواد) طريقة طريفة في إقامة البرهان ، فصاغ عبارته بحذر ، وهو يعلم تمام العلم ، أن زميلاً له من حملة الأقلام ، سيتقدَّم ليتِّم مابدأه هو ، فيبتكر وسيلة تتحوَّل بها إشاراته الخفيَّة وتلميحاته ، إلى مرتبة الحقائق الثَّابتة ، فمنجانا نفسه ارتاب ارتياباً شديداً في قِدَم هذه التَّرجمة السُّريانيَّة المزعومة ، وقال حرفيّاً : « ولكنَّا لانستطيع الجزم في ثقة بوقت ظهور النُّسخة بالضَّبط » .

فجاء (داڤيد صموئيل مرجليوث)[٦] ليقول : « وقد عثر الدكتور منجانا على نسخة سُرْيانيَّة عريقة في القِدَم ، ووصفها في نشرة مكتبة (جون رايلاند) ، فله فضل السَّبق في هذا الأمر » .

---

(٦) داڤيد صموئيل مرجليوث : (David Samuel Margoliuth) : [١٨٥٨ - ١٩٤٠ م] ، مبشِّر مستشرق بريطاني ، له في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين ، لم يكن فيها مخلصاً للعِلْم ، [الأعلام : ٣/٤] .

فالأمر الَّذي شكَّ به منجانا ، جاء مرجليوث ليجعله عريقاً في القِدَم ، وبذلك يصبح رأيه حجَّة في التَّدليل على عدم صحَّة القرآن الكريم ، هذا هو الأُسلوب الَّذي يلجأ إليه هؤلاء الحذاق في استغلال سطحية الجماهير ، وعدم تعمُّقها في القضايا والعلوم الاختصاصيَّة .

فمن منطلق الحاجة إلى كسر الجمود ، وانجرافاً في مجرى مخطَّطات الغزو الفكري ، لجأ أصحاب (القراءات المعاصرة) إلى أُسلوب إفراغ الإسلام من المحتوى ، والتَّشبث بالأسماء والصُّور ، بدل المسمَّيات والمقاصد .

تراهم يظهرون حرصاً - مزعوماً - على الإسلام وأهله ، وغَيْرة - خادعة - على حاضره ومستقبله ، كحرص عبد الله بن أُبَي بن سَلَول وغيرته على رسول الله ﷺ والإسلام والمسلمين ، فبعد غزوة أُحُد الَّتي تخاذل عنها ، وقف يوم الجمعة - كعادته كل يوم جمعة - ورسول الله ﷺ يخطب ، ليقول : « أيُّها النَّاس ، هذا رسول الله ﷺ بين

أظهركم ، أكرمكم الله وأعـزَّكم بـه ، فـانصروه وعـزِّروه[٧] ، واسمعـوا لـه وأطيعـوا » ، ولكن المسلمين أخـذوا بثيـابـه من نـواحيـه ، وقـالـوا : اجلس ، أي عـدو الله ، لستَ لـذلـك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت .

وكحرص مؤيَّد الدِّين العلقمي على مُلْكِ بني العبَّـاس ، لقد أظهر حرصاً وغيرةً للخليفـة العبـاسي المستعصم بـالله ، في الـوقت ذاتـه الـذي كان فيـه يراسـل التَّتـار وينـاصحهم ويطمعهم في المجيء إلى بغداد للقضاء على الدَّولة العبَّـاسيَّـة . وصار إذا جاء خبر عن زحف التَّتار كتمه عن الخليفـة ، بينما يطالع التَّتار بأخبار الخلافة ، ثم قال للمستعصم بالله ـ مخلصاً حريصاً على مصلحته وسلامته !! ـ : « إنَّ هولاكو قد رغب في أن يزوِّج ابنتـه بـابنـك ، ويبقيـك في منصب الخـلافـة ، ولا يريد إلاَّ أن تكون له الطَّاعة وينصرف عنـك بجيوشـه ، فليجب مولانا إلى هذا ، فإنَّ فيه حقن دماء المسلمين ، فخرج

---

(٧) عزِّروه ، عظِّموه وفخِّموه ، [اللِّسان : عزر] .

المستعصم إلى هولاكو ليلاقي حتفه ، وليلاقي مليون نسمة حتفهم أيضاً »[8] .

☆ ☆ ☆

« لسانِ الحال أصدق من لسان المقال »[9] :

ومن خلال تصفُّح سريع (لبروتوكولات حكماء صهيون) ؛ يلفت النَّظر ونحن في صدد (القراءات المعاصرة) ثلاثة من هذه البروتوكولات ، وهي :

البروتوكول التَّاسع : « ولقد خَدَعْنا الجيل النَّاشئ من الأُميِّين ، وجعلناه فاسداً متعفِّناً بما علَّمناه من مبادئ ونظريَّات معروف لدينا زيفها التَّام ، ولكنَّنا نحن أنفسنا الملقِّنون لها »[10] .

---

(٨) تاريخ الخلفاء للسُّيوطي ، ص : ٤٧٢ ، الكامل في التَّاريخ : ٣٨٣/٩

(٩) من تقديم المرحوم عبَّاس محمود العقَّاد لكتاب : الخطر الصُّهيوني (بروتوكولات حكماء صهيون) ، الطَّبعة الثَّالثة ، ص : ١٢ ، النَّاشر : مكتبة دار العروبة ـ القاهرة .

(١٠) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص : ١٥٩ ، الطَّبعة المشار إليها في الحاشية السَّابقة .

البروتوكول الثّالث عشر : « سنحاول أن نوجّه العقل العام نحو كلّ نوع من النّظريّات المبهرجة ، الّتي يمكن أن تبدو تقدّميّة أو تحرّريّة »[11] .

البروتوكول الرّابع عشر : « يجب علينا أن نحطّم كلّ عقائد الإيمان ، وأن تكون النّتيجة المؤقّتة لهذا هو إثمار ملحدين »[12] .

١ ـ نظريّات معروف زيفها التّام ، هذا ماتراه (بروتوكولات حكماء صهيون) ، وتتبنّى (القراءات المعاصرة) هذه النّظريّات المزيّفة ، مثل : الكون لم ينشأ من عدم ، ودارون .. !!!

---

(١١) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص : ١٨٣

(١٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص ١٨٤ ، مع أنّ الدُّكتور رشدي فكّار في دراسته (نهاية العمالقة) ، الّذي صدر بالعربيّة مترجماً عن الفرنسيّة ، إعداد ونشر أبو دومة ، يذكر رسالة كارل ماركس الشّهيرة إلى البابا ، حيث قال فيها : إنّني ماكنت أبداً منكراً للإله ، إنّما داعٍ لتحرُّر الإنسان ، [انظر : المجلّة العربيّة ، العدد ١٥٩ ، ص : ٧٤ ، عدد شهر ربيع الآخر ١٤١١ هـ ، تشرين الثّاني (نوڤمبر) ١٩٩٠ م] .

٢ ـ نظريّات مبهرجة ، هذا ما تحضُّ عليه (بروتوكولات حكماء صهيون) ، وتنطلق من أصحاب (القراءات المعاصرة) نظريّات برّاقة بالجملة : إنكار السُّنّة ، قانون للميراث جديد ، لا يوجد شيء اسمه الشّريعة الإسلاميّة ، التّشريع قابل للإلغاء والاستبدال ، النّبيّ ﷺ لم يكن أُمّيّاً ، بل قرأ وكتب .. إلخ .. !!!

٣ ـ إثمار الملحدين ، هذا ما توصي به (بروتوكولات حكماء صهيون) خدمة لأهداف الصُّهيونيّة وأطماعها ومراميها ، ويتبجّح أصحاب (القراءات المعاصرة) بقولهم : الإلحاد موقف مثالي بحت !!!

فهل هذا التّوافق مصادفة ، وقد رفض العلْمُ المصادفات ؟!

نماذج من محاولات المستشرقين :

إنّ معرفة الدّوافع الحقيقيّة للاستشراق ، هي الّتي تحدّد الهدف الّذي يسعى إليه المستشرقون بعنايتهم بدراسة الإسلام

والمسلمين ، فهذا العدد الهائل من المستشرقين في كثير من بلاد العالم الَّذين سَخَّروا كلَّ جهودهم ، بل وأفنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم ، بالتَّعاون مع الدَّوائر الاستعماريَّة الَّتي تغدق عليهم الأموال ، وتمدُّهم بكلِّ الإمكانات ، ولعل أهم هدف سعى إليه المستشرقون في فترة من فترات التَّاريخ ، بل ولا زالوا يسعون إليه إلى الآن ، هو محاولة إعطاء صورة مشوَّهة عن الإسلام كدين ، وعن الشَّرق كحضارة ، وعن العربيَّة كتراث ووجدان أُمَّة ، وذلك حتَّى يمكن من خلال هذه الصُّورة تنفير الكثيرين ممَّن اشرأبَّت نفوسهم لتفهُّم الإسلام واعتناقه ، وفي تحقيق هذا الهدف خدمة للتبشير لا تقدَّر .

ثمَّ يأتي بعد ذلك الهدف الأكبر ، وهو القاضي بتحطيم الإسلام من داخله عن طريق تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيِّهم وتراثهم ، حتَّى يتم فصلهم عن دينهم ، وتفتيت وحدتهم ، لأنَّ في تمسُّكهم بهذا الدِّين وحدة وقوَّة من شأنها أن تهدد الكيان الغربي ، ولأنَّ في تمسُّكهم بهذا الدِّين رقيّاً

وتقدُّماً وحضارة مادّيّة ومعنويّة من شأنها أن تؤثّر في مجرى حضارة الغرب المادّيّة التّائهة .

وهذا التّخوُّف والحذر من العقيدة الإسلاميّة لم يعد سرّاً ، بل أعلن عنه كثير من المستشرقين في بحوثهم ومؤلّفاتهم ومجلاّتهم العلميّة ، وهاهي (مجلة العالم الإسلامي) تقول : « إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ، ولهذا الخوف أسباب منها : أنَّ الإسلام منذ أن ظهر في مكّة لم يضعف عددياً ، بل هو دائماً في ازدياد واتّساع ، ثمّ إنّ الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل إنّ من أركانه الجهاد ، ولم يتّفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثمّ عاد نصرانياً »(١٣) .

هذا هو الإسلام في المفهوم الغربي ، ومن ثم فإنّ كلّ الجهود يجب أن تتوحّد لتحويل المسلمين عن التّمسُّك بعقيدتهم ، ولتحقيق هذا الهدف قاموا بالخطوات التّالية :

ـ التّشكيك في نبوّة محمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١٣) انظر كتاب (أجنحة المكر الثّلاثة) للأُستاذ عبد الرّحمن الميداني .

ـ ولا يقف التَّشكيك عند صحة النُّبوَّة ، بل يتعـدَّاه إلى التَّشكيـك في دستور الإسـلام الخـالـد ، والمعجـزة البـاقيـة ؛ القرآن الكريم .

ـ التَّشكيك في صحة السُّنَّة النَّبويَّة ، وذلك لما تمثِّلـه من دعامة متينـة في صرح الشَّريعـة الإسلاميَّـة ، لكونهـا المصـدر الثَّاني من مصادر التَّشريع[١٤] .

☆ ☆ ☆

القراءاتُ المعاصِرةُ :

(القراءات المعاصرة) معول تخريب يعمل في المقدَّسات ظلماً وجهلاً ، والتَّهديم فيها زوراً وبهتانـاً ، حيث طلع علينـا أصحابها بالأفكار التَّالية :

١ً ـ يجب انطلاقاً من الحرص على (الحقيقة العلميَّة) أن ترفضوا كلَّ المسلمات الَّتي تعتبرونهـا من أسـاسيَّـات الإسلام ،

(١٤) ظاهرة انتشـار الإسلام ، للأستـاذ محمـد فتح الله الزِّيـادي ، ص : ٨٩ وما بعدها .

ونتساءَل لِمَ ؟ وما البديل ؟ ويأتينـا الجواب : لأنَّ المسلَّمات الأساسيَّـة عنـد العلمـاء المسلمين معكوسـة مقلوبـة قـد انقضى زمانها ، والبديل لها مسلَّمات (ديالكتيكيَّة) ملحدة .

مقدِّمات مرفوضة ، واستنتاجـات مرفوضـة أيضـاً ؛ إنَّ رفض المسلَّمات الإسـلاميَّـة لا يَقتضي قبـول المسلَّمات الدِّيالكتيكيَّة الَّتي وُجِّهَت إليها سهام النَّقد والنَّقض منـذ زمن بعيد ، بل انهارت كلِّياً وسقطت بين النَّظريَّة والتَّطبيق .

☆ ☆ ☆

٢ ـ وفي (القراءات المعاصرة) هدم للسُّنَّة كلِّيـاً ، مع أنَّ المسلمين ملـزمـون بهـا بنصِّ الآيـة الكريمـة : ﴿ وَمـا آتـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ، [الحشر : ٥٩/٧] .

فَهَدْمُ مصدرٍ أساسي من مصادر التَّشريع مقدِّمة وتمهيد ، يمكن بعده ـ وفي مرحلة تالية ـ هدم الكتـاب المجيـد ، وهـذا يـذكرنـا بمرجليـوث الـذي جـاء في الثـلاثينـات إلى دمشـق والقاهرة ليقول : اتركوا العربيَّة الفصحى ، واكتبوا بالعاميَّـة

المحكيَّـة المحليَّـة ، واتركـوا الحرف العربي واعتمـدوا الحرف اللَّاتيني ، فكان جواب طه حسين : سنتبنّى في جيلنا الفكرة الأُولى ، فإن كُتِب لها النَّجـاح ، فسيتـولّى الجيـل القـادم الدَّعوة إلى تبنّي الحرف اللَّاتيني .

إن إبعـاد السُّنَّـة النَّبـويَّـة ، والتَّشكيـك في مكانتهـا في التَّشريع الإسلامي ، مسألة خطيرة ، فبعدها يصبح التَّلاعب بالقرآن الكريم أمراً ممكناً وميسوراً .

وهذه دعوة ليست جديدة ، إنَّهـا مقتبسـة ـ مسروقـة ـ من (جـوزيف شـاخت[15]) ، الَّـذي حـاول قلـع جـذور

---

(15) جـوزيف شـاخت (Joseph Schacht) : [١٩٠٢ـ١٩٦٩م] ، مستشرق ألمـاني متخصّص في الفقـه الإسـلامي ، انتُـدِبَ للتَّـدريس في الجـامعـة المصريَّة لتـدريس فقـه اللُّغـة العربيَّـة واللُّغـة السُّريـانيَّـة بقسم اللُّغـة العربيَّة بكليَّة الآداب ، واستمر أُستاذاً حتَّى ١٩٣٩ ، ولما قـامت الحرب العـالميَّـة الثَّـانيـة ، انتقل من مصر إلى لنـدن ، حيث أخـذ يعمـل في الإذاعة البريطانيَّة لحساب بريطانية وحلفائها ضدّ وطنه ألمانيـة ، وفي سنة ١٩٤٧ تجنَّس بالجنسيَّة البريطـانيَّـة ، ولكنـه لم يُعَيَّن أُستـاذاً لا في أكسفـورد ، حيث كان قـد كُلِّف ببعض الـدُّروس ، ولا في غيرهـا من الجامعات البريطانيَّة ، وهكذا لم تنفعه خيانته لوطنـه ألمـانيـة ، وعلى =

الشَّريعة الإسلاميَّة ، والقضاء على تـاريخ التشريع الإسلامي قضاءً تامّاً ، ووصفَ علماء المسلمين في القرون الهجريَّة الثَّلاثة الأُولى بأنهم كانوا كذَّابين وملفِّقين غير أُمناء .

ولكي يشرح شاخت نظريته ، فقد نشر كتباً ومقـالات عديـدة بلغـات مختلفـة كالإنكليزيـة والفرنسيّـة والألمـانيَّـة ، ووضع كتابَ : (المدخل إلى الفقه الإسلامي) لهذا الغرض : (Introduction Islamic low)، ويعـد أشهر مـؤلفـاتـه على الإطلاق كتاب : (أُصول الشَّريعة المحمَّديَّة) The origins of Muhammadian Jurisrudence الذي حاز أعلى تقدير ، وتمتَّع بـالاحترام الشَّـديـد في العـالم الأكاديمي الغربي . فقـد قـال البروفسور (جب[16]) بـأنَّـه : سيصبح أساسـاً في المستقبـل

= كلٍّ حال فقد ترك بريطانية سنة ١٩٥٤ وعُيِّن أُستاذاً في جامعـة ليـدن (هـولنـدة) ، حيث استمرَّ حتَّى ١٩٥٩ حيث انتقـل إلى نيـويـورك ليعمل أُستاذاً في جامعة كولومبية ، واستمرَّ في هذا المنصب إلى أن توفي في أوَّل آب (أُغسطس) ١٩٦٩ ، [مـوسـوعـة المستشرقين ، ص : ٢٥٢] .

(١٦) هـاملتون جب (Gibb) : [١٨٩٥ ـ ١٩٧١ م] ، مستشرق إنجليزي =

لكلّ دراسة عن حضارة الإسلام وشريعته ، على الأقل في العالم الغربي[١٧] .

كما أثنى عليه البروفسور (كولسون) أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن قائلاً : « إن (شاخت) صاغ نظريَّةً عن أصول الشَّريعة الإسلاميَّة غير قابلة للدَّحض في إطارها الواسع ».

وأثَّرت نظريَّات (شاخت) تأثيراً بالغاً على جميع المستشرقين تقريباً . وخصوصاً على الَّذين لهم نشاط في مجال دراسات الشَّريعة الإسلاميَّة ، من أمثال : أندرسون ، وروبسون ، وفيزجرالد ، وكولسون ، وبوزورث . كما أنَّ

= « نال في حياته كثيراً من ألقاب التَّشريف الَّتي لا يستحقها علميّاً ، والواقع أنَّ هاملتون جب كانت شهرته فوق قيمته العلميَّة ، وإنتاجه أدنى كثيراً من الشُّهرة الَّتي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم » ، [موسوعة المستشرقين ، ص : ١٠٥] .

(١٧) مناهج المستشرقين : ٦٨/١ ، عن كتاب جب :

Journal of Coparative Legistation and International Low, Vol.33, P.114

لهذه النَّظريات تأثيراً عميقاً على من تثقَّفوا بالثقافات الغربيَّة من المسلمين ، تلك الثَّقافات الَّتي تطغى على معلوماتهم السَّليمة عن الإسلام وشريعته .

وعلى الرَّغم من خطورة كلام (شاخت)، الَّذي يسعى لهدم القرون الذَّهبيَّة للأُمَّة الإسلاميَّة ، من حيث العلم والنَّزاهة ، لم يسمح لطالب في جامعة لندن ، ولا في جامعة كمبردج - اللَّتين ترفعان علم الحُرّيَّة والتَّجرُّد في البحث العلمي - أن يسجل موضوع أُطروحته دراسة نقديَّة لكتاب (شاخت): (أُصول الشَّريعة المحمَّديَّة)[18] .

هذا هو (الأُستاد الكبير) الَّذي أصبح فوق النَّقد ، ومن مسَّه من بعيد كان نصيبه الإبعاد والطَّرد .

يتحدَّث (شاخت) عن مكانة الشَّريعة في الإسلام

---

(١٨) مناهج المستشرقين : ٦٨/١ ، عن : السُّنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي ، ص ٢٧ ، وهذا الطَّالب هو المرحوم الدُّكتور محمد أمين المصري ، الَّذي اختصَّ بعلم النَّفس بعدها ، لرفض الجامعتَيْن أُطروحته عن شاخت ونظريَّته .

فيقـول : « إنَّ القـانـون (أي الشَّريعـة) تقـع إلى حـدٍّ كبير خـارج نطـاق الـدِّين »، وردَّد (شـاخت) هـذا الكـلام مرَّة أُخرى بوضوح أكثر في كتابه (المدخل إلى الفقـه الإسلامي)، صفحة ١٩ ، حيث قال :

في الجزء الأكبر من القرن الأوَّل لم يكن للفقه الإسلامي - في معنـاه الاصطـلاحي - وجـود كما كان في عهـد النَّبيِّ ، والقـانون - أي الشَّريعـة - من حيث هي هكـذا ، كانت تقع خارجة عن نطاق الدِّين ، ومالم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعـامـل خـاص في السُّلـوك ، فقـد كانت مسألة القانون تمثِّل عمليَّة لا مبالاة بالنِّسبة للمسلمين .

هذه النَّظريَّة جوهريَّة ومركزيَّة وأساسيَّة بالنِّسبـة لكلِّ كتـابـات (شـاخت) . فـإذا كانت الشريعـة - أو القـانـون (Low) - تقع خارجة عن نطاق الدِّين وكان النَّبيُّ ﷺ غير مكترث لهـا ، وكـذلـك المسلمـون الأوائـل من الصَّحـابـة والتَّابعين ، إذن فلن يكون هنـاك أيُّ اهتمام في هـذا المجـال ، وإن وُجِدَ كان شيئاً مؤقَّتاً وآنياً .

وعلى ذلك إذا كان هناك في المصـادر مـا يشير إلى جهـد النَّبيِّ ﷺ جهداً دائماً متواصلاً ، ومن جـاء بعـده من العلمـاء المجتهدين من الصَّحابـة والتَّـابعين ، في مجـال التَّشريع فيكون كذباً مختلقـاً ، على كلٍّ ليس هـذا هو الاستنتـاج المنطقي من كتـابـات (شـاخت) فحسب ، بـل إنَّـه صرَّح بـذلــك بكلِّ وضـوح ، فقــال : من الصُّعـوبـة اعتبــار حــديثٍ مــا من الأَحاديث الفقهيَّة صحيح النِّسبة إلى النَّبيِّ ﷺ[١٩] .

ولا شـك أنَّ ادِّعـاء عـدم اكتراث النَّبيِّ ﷺ والصَّحـابـة والتَّابعين بالتَّشريع ، ووقوع التَّشريع خارج نطـاق الـدِّين ، وعدم صحة حديث واحد من الأَحاديث الفقهيَّة المنسوبـة إلى النَّبيِّ ﷺ . ينتج عنـه أهـداف كثيرة مقبولـة ومطلوبـة من قبل أعداء الإسلام ، أهمُّها :

مـا يسمَّى بـالفقـه الإسلامي ، ليس هو الفقـه الإسلامي المبنيِّ على كتاب الله ، وعلى ذلـك يمكن للمسلمين أن يقتبسوا

---

(١٩) مناهج المستشرقين : ٦٩/١ ، عن :

Introduction to Islamic Low, P.34

من القوانين الوضعيَّة الغربية ـ أو الشَّرقيَّـة ـ مـا أرادوا ، دون أن يشعروا بأدنى ضيق من مخـالفتهم لـدينهم ، وإذا أرادوا أن يسمُّوا تلك القوانين بالفقه الإسلامي ، فلا مانع في ذلك .

واستنـاداً لمـا سبـق ، أليست آراء (القراءات المعـاصرة) ونظريَّاتها في السُّنَّة النَّبويَّة ، اتِّباعـاً لخطَّـة شـاخت في فصل الشَّريعة الإسلاميَّة عن مصدرها الدِّيني ، ثمَّ القضاء عليها بعد إخراجهـا إلى العراء ، وإبعـادهـا عن حصنهـا الَّـذي كانت مكلوءة فيه ؟!؟.

☆ ☆ ☆

٣ ـ والعيب الكبير الفـاضـح عنـد أصحـاب (القراءات المعـاصرة) ، إغراقهم بـالرَّجعيَّـة ؛ الرَّجعيَّـة الفكريَّـة ، والرَّجعيَّة العلميَّة ، إنَّهم رجعيون لأنَّهم يتبنَّوْن ـ وبوقـاحـة ـ نظريَّـات تهـاوت ، وأفكاراً تهـافتت ، ويطلبـون من النَّـاس تصديق ما يقرِّرون ؛ وتبنِّي ما يستنتجون .

فمن أفكارهم (الرَّجعيَّـة) تبنِّي (نظريَّـةَ) الكـون المادِّي ، الَّذي لم ينشأ من عدم .

وهـذه النَّظريَّــة لم ترقَ يـومــاً إلى مرتبــة (الحقيقــة العلميَّة)، وهي اليـوم مرفـوضـة علميّاً ، ففي العلم الحـديث المعـاصر ، حقـائق لا نظريَّـات : « تثبت بمـا لا يـدع مجـالاً للشَّك أنَّ المـادة ليست أزليَّـة[٢٠] ، وآمن العلمـاء اليوم بخـالق أَزَلي ـ لا بمـادة أزليَّــة ـ منتصب وراء هــذا الكـون واســع الأرجـاء ، يـدبِّره ويرعى شـؤونـه » ، هــذه هي نظرة العلم للمادة اليوم .

« إنَّ ظهور الكون المـادي كان نتيجـة انفجـار هـائـل ، أدَّى إلى تغير طبيعة المادة » ، عبارات تُقدَّم وكأنَّها من شاهـد عيـان ، مـع أنَّهـا (نظريَّـة) ، وليست حقيقيـة ، فـالكـون المادي يسوده النِّظـام وليس الفوضى ، وتحكمـه القوانين وليس المصـادفـة أو التَّخبُّـط ، والعلمـاء اليـوم يتكلَّمـون عن مــادة (تَخْلَق) : « يجب أن يكون هناك مادَّة تُخلَق بـاستمرار لكي

---

(٢٠) العِلْم في منظـوره الجـديـد ، تـأليف : روبرت أغروس ، وجـورج ستـانسيو ، سلسلـة (عـالم المعرفـة) ، العـدد : ١٣٤ ، شبـاط ١٩٨٩ ، ص : ٩

تملأ الفراغ الَّذي يحدث نتيجة لتمدُّد الكون »[٢١] ، والعلماء عندما يتكلَّمون عن حاجتهم لعمليَّة الخَلْق لكي تكمل لهم أبحاثهم ، يجدون أنفسهم أمام الخالق مباشرة وبالضرورة (واجب الوجود) .

لقد أقامت النَّظريَّة المادِّيَّة نظرتها للكون على أنَّه ليس نهائياً ، ولكن أنشتاين أثبت حسابياً علمياً أنَّ الكون مقفل على نفسه ، فله حجم مغلق ، وبالتَّالي فهو محدود ، وكلمة محدود فلسفياً تعني الكثير ، لأن المحدود له بداية وله نهاية ، تنتفي عنه صفة اللاَّنهائيَّة والأزليَّة ، وتلصق به صفة الحاجة والخَلْق .

(الفلسفة المادِّيَّة) تحاول فاشلة أن تصحِّح الكون ، الَّذي يتمرَّد على كلِّ إطلاق ، وأن تفرض عليه ما يجب أن يكون في رأي أصحاب تلك الفلسفة لأنَّ المطلق حلم دغدغ جميع العقول منذ فجر الفلسفة ، لقد أحبُّوا المطلق ، وأرادوا

---

(٢١) بوندي وجولد .

أن يتصوّروا أنّ الكون على غراره ، وكانوا يغمضون أعينهم عن متطلّبات الكون الّتي لا تروق للعلم كما جاء به (نيوتن) ، ولا للفلسفة الّتي جاء (الدّيالكتيكيّون) بها ، وكم مرّة اتّهموا العقل ذاته ، وتجارب العلم ، لأنّها لا تصل إلى تحقيق المطلق .

(الفلسفة الماديّة) تحاول فاشلة أن تُصَحّح الكون ، والعلم اليوم يقول : « إنّ العلماء يشغلون أنفسهم بأفكار وأبحاث عن جغرافية الكون ، وبعض الفلاسفة يهتمّون بعلم الكون ، لكن هؤلاء كلهم نتيجة دراستهم للعالم الفيزيائي يجدون آخر الأمر أنّهم يبحثون العالم كلّه ، ويتعرّفون على حقائق من خلال أربعة جواهر أساسيّة ، هذه الجواهر هي : **الزّمان والمكان والكتلة والطّاقة** ، والحقيقة أن أيّ علم تجريبي لا يُبْحَثُ إلاّ من خلال هذه الجواهر الأربعة ، أو من تداخلها مع بعضها البعض ، فالحركة والسّرعة والدّورات الحيويّة كلّها من خلال هذه الجواهر[٢٢] ».

---

(٢٢) هارلو شيبلي .

ويتساءل العلماء اليوم : « أليس هناك جوهر أساسي لتسيير هذا الكون ؟!!».

أو بشكل آخر : « إذا كان لديك القوّة الكاملة ، والفُرَص المناسبة ، والرّغبة ، وأُعطيت هذه الجواهر الأربعة الأساسيّة : المكان والزّمان والمادّة والطّاقة ، فهل تستطيع أن تشكل كوناً مثل هذا الكون ؟ أو أنّك ستشعر بأنّك عاجز عن ذلك ، وتحتاج أيضاً إلى جوهر خامس لكي ينظّمه لك ؟!؟ » .

إنّ هذا الجوهر الخامس وهو الأسمى موجود لاشك فيه ، وهو يختلف اختلافاً كاملاً عن الأربعة الّتي ذكرناها فيما سبق ، وهو (الصَّمَدُ Indispensable) الّذي لا غنى عنه ، ذلك الّذي يبعث الوميض في عالم من النُّجوم والكائنات والقوانين الطّبيعيّة ، الّتي لو لم تكن كذلك ، لما كان هناك كون .

إنّ من يبحث في حقل علم الكون سيدهشه أن يجد مميزات للعالم خبيئة ، تسيّر ديناميكيّة العالم سيراً مستقلاً ،

وتوجهه وتشكّله وتدفعه ، ولها القدرة على كلّ شيء ، أي إنّها قوّة واعية ، لكنها بهذه الصِّفات لا يقتصر مداها على ما هو موجود على الأرض وحسب ، بل تشمل الكون كلّه باتّساعه العريض .

ويعلّق الدكتور عبد الرَّحيم بدر على ما سبق بقوله : « وهكذا نرى أن عالماً مثل هذا العالم - وهو العالم هارلو شيبلّي - قضى عمره في دراسة الفلك والمجرَّات ، وأقاصي أنحاء الكون ، يصل إلى نتيجة أصبحت ظاهرة لديه ، وهي وجود قوّة مسيطرة على كلّ الجواهر الّتي يعرفها العلماء ، ويحاول أن يثبت وجود الله علميّاً ، لكنه يكتب بهذه الطَّريقة المقيَّدة ، لأنَّه يعرف الَّذين يتكلَّم لهم ، فهم بعيدون عن الإيمان ، وهو يستطيع أن يخاطب هؤلاء بالعلم والعقل »[٢٣] .

وممّا يذكر هنا ، أنَّ العالمة الإنجليزيَّة الدكتورة (مرجريت برنبريدج) ، مديرة مرصد (غرينتش) ، قد

---

(٢٣) مجلّة (الفيصل) ، العدد : ٣٢ ، ص : ١٢٠

اكتشفت أبعد نجم في هـذا الكون ، وقـد سمّى الفلكيُّون هـذا النَّجم (كازار) ، وأطلقت عليـه الـدكتـورة المكتشفـة (كازار ١٧٢) ، وهو يبعـد عنّـا بمقـدار ١٥,٦٠٠ مليون سنـة ضوئيَّة[٢٤] .

ولما سئلت الـدكتورة (برنبريـدج) عن اتّسـاع الكون الَّذي نعيش في جانب محدود منه ، قـالت : لاأحـد يعرف ، إنَّ هـذه هي حـدود معرفتي بـالقَـدْر الَّـذي تسمح بـه عـدسـة قطرهـا ١٢٠ بوصـة[٢٥] ، ولو كانت هنـاك عـدسـات أكبر أو أجهزة أقدَر وأدق ، لاتَّسع أمامنا الكون ، أكثر وأكثر .

ثمَّ سئلت : هل الله موجود ؟ فكان جوابها : من المؤكَّـد أنَّه موجود !!

---

(٢٤) السّنة الضَّوئيَّة = ٣٦٥ يوماً × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقـة × ٦٠ ثـانيـة × ١٨٦٠٠ ميل ، وهي سرعة الضَّوء في الثَّانية الواحدة .

(٢٥) البـوصـة : مقيـاس إنجليزي ، وهي تسـاوي ٢ سنتيمتر و ٥٤ من السَّنتيمتر ، [دائرة معارف القرن العشرين : ٤٠٨/٢] .

قيل لها : ولكن لماذا ؟ فأشارت إلى السَّماء ، وقالت : لهذا[٢٦] !!

ومن قبل ذلك بنصف قرن ، عندما أعلن (أنيشتاين) نظريَّته (النِّسبيَّة) ، سأله بعض النَّاس : هل الله موجود ؟ وكان الرَّدُّ : رياضيّاً موجود !! ، وسئل : وكونيّاً ؟ قال : موجود ، قيل له : لماذا ؟ وكان الجواب : لهذا ، وأشارا إلى السَّماء .

ومن الأفكار (الرَّجعيَّة) لأصحاب (القراءات المعاصرة) و (الرُّؤى العلميَّة) أخذهم بنظريَّة التَّطور ، الَّتي نُقِضت منذ أكثر من نصف قرن ، وظهرت بعدها (الدَّارونيَّة الحديثة) . ثمَّ وصلوا (علميّاً) إلى خَلْق لا تطوُّر ، فحيوان (البلاتيبس : Platypus) وحده كافٍ لنقض الدَّارونيَّة ، ناهيك عن الاكتشافات الأخيرة في إثيوبية لبقايا إنسان العصور الأُولى ، يرجع تاريخها حسب تقدير العلماء إلى أكثر من خمسة ملايين سنة ، جعل العلماء المختصِّين يقلبون كلَّ

---

(٢٦) قذائف الحق ، محمد الغزالي ، ص : ١٦٨

النّظريات السّابقة عن أصل الإنسان (الأنثروبولوجيا) رأساً على عقب ، والبدء من افتراض جديد[٢٧]

والتّوازن العجيب بين حياة مملكتَيْ الحيوان والنّبات ، لا يمكن أن يكون نتيجة مصادفة في النّشوء والارتقاء ، وعلم الوراثة عندما يتكلّم عن (الشّيفرة) المعجزة في (المورّثات ، الصّبغيّات) يتكلّم عن بناء محكم التّصميم ، لا يتبدّل ، ولا يتغيّر ، حسب قوانين سليمة صحيحة ، ويؤكّد ، بما لا يدع مجالاً للشّك ، أنّ هذا البناء إنّما تمّ تصميمه من الداخل ، ولم يتطور بأي دفع من الخارج .

(حُبَيْبَةُ الوراثة) مع تناهيها في الصّغر ، تزدحم بملايين الذّرّات المرتّبة المتناسقة ، التي تحمل كلُّ ذرّة منها صفة معيّنة ، حتّى شبّه العلماء جزيئات المادّة الحيّة ، من حيث التّعقيد والتّنظيم ، بحيث إنّ احتمال تكوينها بطريق المصادفة مستحيل ، وقالوا : لو قطّعت صورةً كبيرة إلى أجزاء

---

(٢٧) صحيفة البعث ، العدد : ٣٥٧٣ ، تاريخ : ١٩٧٤/١٠/٢٨ ، وصحيفة الثّورة ، العدد : ٣٥٨٩ ، تاريخ : ١٩٧٤/١٠/٣١

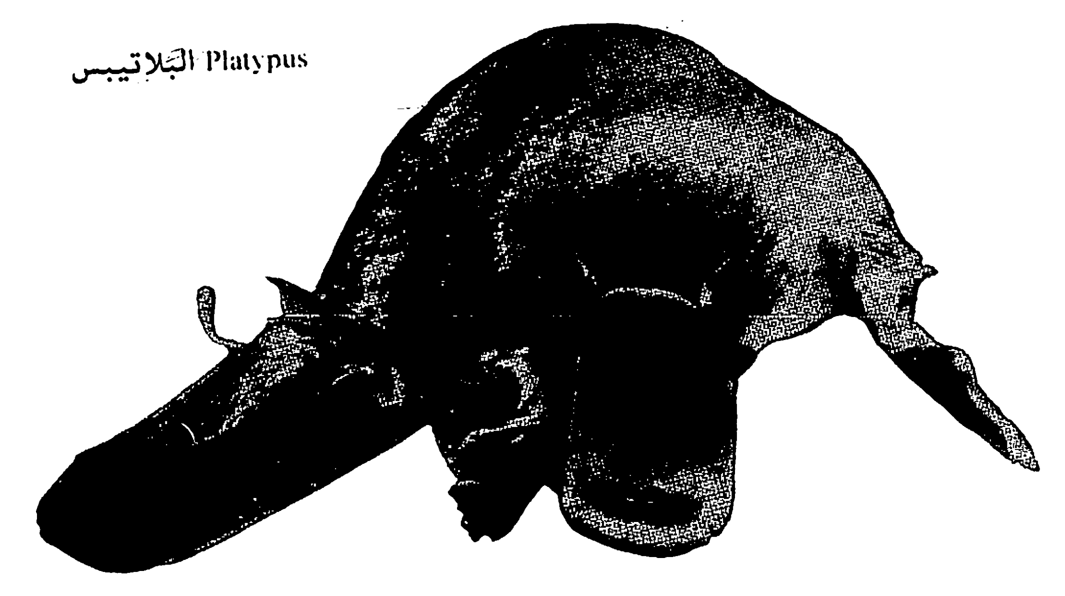
عديـدة ، أكثر من ١٠,٠٠٠ قطعـة ، ثمَّ وضعتَ هـذه الأجزاء الصَّغيرة كلَّها في صنـدوق ، وخلطتَ في داخلـه بعضهـا إلى بعض ، فصـار بعضها ظهراً ، وآخر وجهاً ، ثمَّ هززتهـا هـزة صغيرة بعـد إغلاق الصّنـدوق ، ثمَّ فتحنـاه بعـد هــذه الهـزَّة الصَّغيرة ، وتـوقَّعنـا أن نرى الصُّورة مرتَّبـة ، كما كانت قبـل تمزيقها إلى قطع صغيرة ، فهل ستأخذ هذه الأجزاء أمـاكنهـا الصَّحيحة بطريقة المصادفة ؟ طبعاً مستحيل[٢٨]

والبروتينـات : هي المـادَّة الأسـاسيَّـة الَّتي تتكوَّن منهـا الخليَّـة ، وهي مكـوَّنـة من خمسـة عنـاصر هي الكبريت S ، والأُوكسجين O ، والفحم C ، والهيـــدروجين H ، والآزوت N .

حَسَبَ العالم (تشارلز يوجين جـاي) العـالم السويسري إمكان تشكُّل جُزَيء بروتيني واحـد عن طريـق المصـادفـة ، فكانت (١) إلى $(١٠)^{٦٠}$ ، أي (١) مقابل ١٠ وأمامها ٦٠ صفراً ، فهل للمصادفة فرصة ؟!

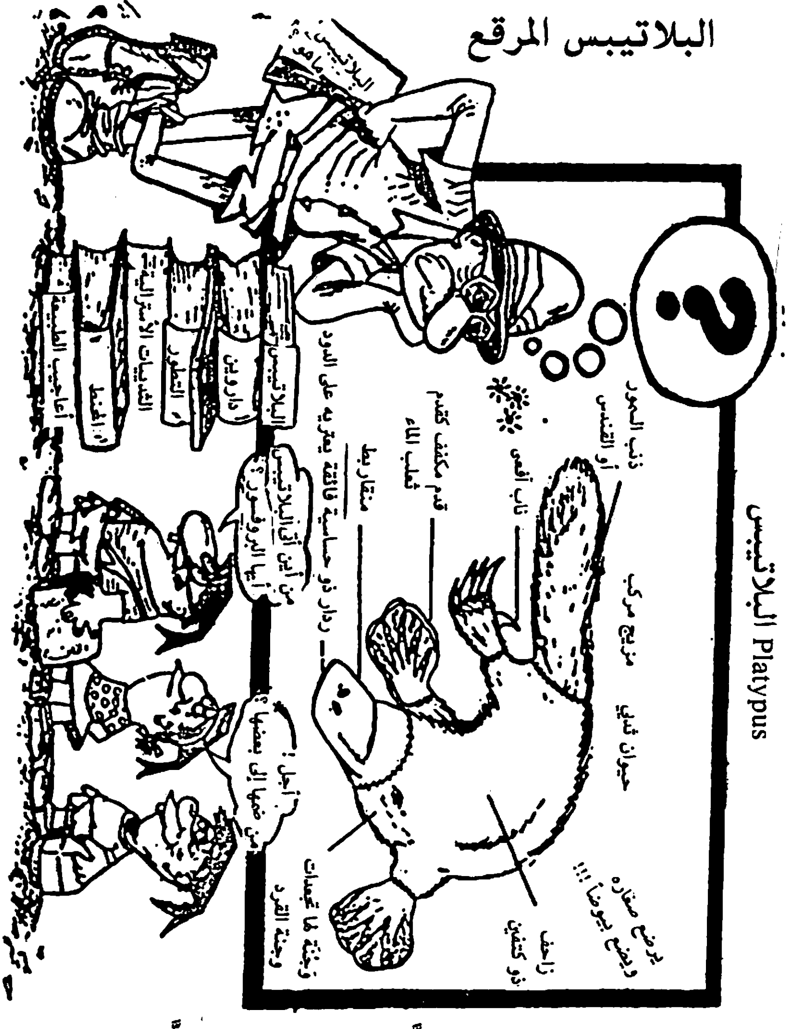
---

(٢٨) كتاب : (١ ، ٢ ، ٣ لانهاية) لجورج جاموف ، ص : ٤٠٥



البَلاتيبس Platypus

البلاتيبس المرقع



تعرية نظريَّة التَّطور (نظرية مرقَّعة)

المورثات = الصبغيات : (الشِّيفرة) السِّرِّيَّة للخَلْق

(المورثات ـ الصّبغيات) : بناء محكم التصميم ، لا يتبدّل ، ولا يتغيّر ، ويؤكّد بما لا يدع مجالاً للشّك ، أنّ هذا البناء إنّما تمّ تصميه من الداخل ، ولم يتطوّر بأيّ دفع من الخارج .

والشّكل اللولبي الذي لفَّت بواسطته الصّبغيات داخل نواة الخلية ، بحيث لو فُرِدَت كلُّ صّبغيات الجسم الإنساني بخط مستقيم لبلغت طول المسافة بين الأرض والشمس (١٥٠ مليون كم) ، علماً أن الثروة الوراثية للبشرية جمعاء يمكن احتواؤها في مكعَّب حجمه سنتيمتر مكعب واحد فقط ، فأين المصادفات والتطور !!

وحسب أيضاً الزَّمن اللاَّزم لحدوث هذا التَّفاعل مصادفة 10^{243} سنة ، أي ١٠ وأمامها ٢٤٣ صفراً ، وعمر الأرض دون ذلك بكثير ، وإنَّ الكميَّة اللاَّزمة لحدوث هذا التَّصادف من مواد الكرة الأرضيَّة هو بحجم كرة ضخمة ، يحتاج الضَّوء لكي يقطع نصف قطرها 10^{82} سنة ضوئية ، أي ١٠ وأمامها ٨٢ صفراً من السِّنين الضَّوئيَّة ، وهذا الحجم يفوق حجم الكون بأجمعه ، بما فيه أبعد النُّجوم الَّتي يستغرق ضوؤها 2×10^{6} سنة ضوئيَّة ليصل إلينا .

إذن : إنَّ تشكُّل جزيء من البروتين من الطَّبيعة عن طريق المصادفة ، يمكن أن نضع له دحضاً بالنُّقاط التَّالية :

١ ـ المصادفة مرفوضة عقلاً وعلماً .

٢ ـ عمر الأرض لا يعتبر زمناً كافياً لحدوث ، أو تكوين ، جزيء بروتيني واحد عن طريق المصادفة ، كما قال (أدولف بوهلر) المختص بتركيب الأحماض الأمينيَّة ، وأُستاذ الكيمياء بكليَّة أندرسون .

٣ ـ حَسَبَ العـــالم الإنجليزي (ج . ب ليتز Leathes) عددَ الطُّرق الَّتي يمكن أن تتحدَّد بها ذرات البروتين مع بعضها لتشكيل جزيء بروتيني ، فكان عدد الطُّرق ١٠^٤٨ طريقـة ، أي ١٠ وأمـــامهـــا ٤٨ صفراً ، ولــو تــألَّفت وتجمَّعت بغير الطَّريقة الحاليَّة لأصبحت سموماً ، فأين حظٌّ المصادفة ؟

٤ ـ البروتينات مواد كيميائيَّة عديمة الحيـاة ، فلا يـدب بهـا السِّرُّ العجيب ، ولا تستطيع أن تتكاثر إلاَّ عنـدمـا تحـلُّ فيها روح معيَّنة لا ندري من كنهها شيئاً .

٥ ـ حجم الكـون أصغر من حجم الكتلـة المطلـوبـة من المواد الخمس الَّتي تشكِّـل البروتين ، لتكـوين جـزيء بروتيني واحد ، فكيف تشكَّل ؟ وكيف دبَّت الحياة فيه ؟

٦ ـ لــوتشكَّـــل ـ على سبيـــل الافتراض غير المــدعــوم بـالبرهـان ـ جـزيء بروتيني واحـد مصــادفــة ، أو تشكَّلت (خليَّـة أُولى) ، فـإنَّ تعميم صفـة من الصِّفـات وثبـوتهـا في الجيل الثَّاني ، ومن الجيل الثَّاني مع صفات جديـدة إلى الجيل الثَّالث ، وصفات جديدة من الجيل الثَّالث إلى الجيل الرَّابع

وهكذا .. حتَّى نصل إلى مملكتي الحيوان والنَّبات ، وبالتَّالي إلى ذروة التَّطوُّر ألا وهو (الإنسان) ، نحتاج إلى مليون جيل من الأجيال المتتابعة ، لتعميم صفة من الصِّفات عن طريق صفات جديدة أو (الطَّفرة) ، وعمر الأرض لا يسمح بذلك ، ولا يقال إنَّ المادة قديمة أزليَّة ، وهذا يكفي لحدوث مثل هذه (الطَّفرات) ، لا يقال مثال هذا لأنَّ « المادَّة ليست أزليَّة أبديَّة ، بل خُلِقَت (أُوجِدَت) ، وتستطيع العلوم أن تحدِّد الوقت الَّذي نشأت فيه هذه المواد » ، كما يقول الدكتور جون كليفلاند رئيس قسم العلوم الطَّبيعيَّة بجامعة دولث .

٧ ـ ونرفض تطوُّر الخليَّة الأُولى إلى مملكتي الحيوان والإنسان والنَّبات ، بدليل وجود حيوانات بحريَّة دُنْيا باقية منذ ملايين السِّنين على حالتها إلى اليوم ، ولم تتأثَّر بقوانين الطَّفرات والتَّطوُّر والارتقاء .

ولو كانت الحياة كلُّها حيوانيَّة ، لكانت الآن قد استنفدت الأُوكسجين ، ولو كانت الحياة كلُّها نباتيَّة ، لكانت

قد استهلكت كلّ ثاني أُوكسيد الكربون ، وفي كلتا الحالتين كانت تنتهي هذه الحياة وتلك ، أي الحياة النّباتيّة والحياة الحيوانيّة[٢٩] ، والأعجب : كيف اهتدت كلٌّ من هاتين المملكتَيْن إلى نظام التّزاوج ، الذّكورة والأُنوثة المتشابهة بمحض المصادفة ؟

لماذا التّطابق في نظام الزّوجيّة ، والاختلاف بطريقة الاستفادة من الأُوكسجين وثاني أُوكسيد الكربون ؟ ولو استفاد الطّرفان من الأُوكسجين فلا تبقى حياة ، ولو أخذ الطّرفان ثاني أُكسيد الكربون فلا حياة أيضاً ، وعندها تكفي شرارةٌ واحدة لإحراق الكرة الأرضيّة لزيادة كمّيّة الأُوكسجين في الجوّ ، فهذا نظام دقيق ، ولا مكان للمصادفة فيه !!

ولماذا لا نعترف بعد هذا كله ، بالْخَلْق مباشرة من خالق مبدع ؟

---

(٢٩) العلم يدعو للإيمان ، كريسي موريسون ، ص : ١٠٠

ولماذا لا نحتكم إلى كلمات العلماء وأبحاثهم ، الَّذين قالوا صراحة : « نشأت الحياة بفعل خالق »[٣٠] .

لقد رفضت حقائق العلم اليوم نظريتي (أزليَّة المادَّة) ، و (التَّطوُّر) قطعاً ، وذلك استناداً إلى النَّتائج الَّتي انتهى إليها أقطاب العلماء والباحثين المعاصرين في مجالات الفيزياء والكوزمولوجيا (علم الفضاء ـ الكون) ، ومبحث الأعصاب وجراحة الدِّماغ ، وعلم النَّفس الإنساني[٣١] .

وعقلاً وعلماً يمكن القول ـ وبكلِّ ثقة ـ : إنَّ القراءات **المعاصرة الَّتي ارتكزت أو بُنيت ، أو تبنَّت نظريَّاتٍ منهارةً ، قراءات معاصرة منهارة ، فكيف نتعامل معها ؟ وكيف نحاورها ؟**

(رجعيَّة) تريد إيقاف ركب التَّقدُّم العلمي ، لبقاء فلسفتها ورؤياها ، ولكن هيهات هيهات !!

---

(٣٠) كلُّ شيء عن البحر ، فردريك ألن ، ص : ٥٢

(٣١) العلم في منظوره الجديد ، ص : ٧

(رجعيَّة) تتعامى عن حقائق العلم الحديث وفلسفته ، وتُصِرُّ على إيصاد باب البحث العلمي ، ليقف وإلى الأبد قُبَالة (ديالكتيك) منهار .

(رجعيَّة) لأنَّها تنفيذ متأخِّر لوصيَّة صهيونيَّة ، كانت إلى الأمس القريب همساً خفيّاً ، ثمّ تحوَّلت اليوم إلى فضيحة مستعلنة ، مرئيَّة ومسموعة من قبل الجميع .

☆ ☆ ☆

٤ ـ ومن صيحات أصحاب (القراءات المعاصرة) : « اسحبوا القرآن من أيدي علماء الدِّين » ، لماذا ؟ هل لنضعه ـ مثلاً ـ بين يدي أحد المهندسين ؟ وكأنَّ الشَّريعة والفقه والقانون ، هي الأُمور المطلوبة من المهندسين ، فهي فَتْحُ أنفاق ، وإقامة جسور ، وبناء عمارات .. فأين الاختصاص ؟

وقياساً على هذه الدَّعوة ، لاندري ماذا سنسمع غداً من أصحاب (القراءات المعاصرة) ، ونترك لخيال القارئ أن

يسرح مع (شطحات) هؤلاء ، الَّذين لا يضبطهم ضـابـط ، ولا منطق ، ولا قانون .. فمن يدري أنَّهم سيقولون : اسحبوا الهندسـة من أيـدي المهنـدسين ، واسحبـوا الطِّبَّ من أيـدي الأطبَّاء ، واسحبوا البندقيَّة من أيدي الجنود ، وهكذا ..

إنَّ الغرض من « اسحبـوا القرآن من أيـــدي علمـــاء الـدِّين » ، هـو هـدم المصـدر الأوَّل من مصــادر التَّشريـع ، بإخضـاعـه للتَّـأويل تـارة ، وللتَّعطيل تـارة أُخرى ، مع أنَّ قـواعــد وأُصـول فهم القرآن وتفسيره ، بــاتت معروفـة لأيِّ مثقَّف ثقـافـة إسـلاميَّـة ، وبـوسـع أيٍّ منَّـا الرُّجـوع إليهـا ، فيما يسمَّى : (قواعد تفسير النُّصوص) .

☆ ☆ ☆

٥ ـ إفسادُ المرأة وإخراجُها من حشمتها وعفافها :

• قرَّر (لويس عوض) في كتابـه (تـاريخ الفكر) ، أنَّ عام ١٨٠٠ م[٣٢] ، كان عـام تحرير المرأة ، جـاعلاً من النِّسـاء الفـواجر العـاهرات ، اللَّـواتي ارتَمَيْنَ في أحضــان الجنـــد

---

(٣٢) أي الحملة الفرنسية على مصر والشَّرق : [١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م] .

الفرنسيِّين ، بداية ثورة النِّساء ، وبداية تحرُّر المرأة ، ولقد سرَّه جداً استقدام نابليون بونابرت أربع مئة امرأة بغي من فرنسة ، لإفساد المجتمع العربي المسلم بإفساد المرأة .

ومما يذكر ، أنَّه في إرلندة ، وبتاريخ ١٩٧١/١١/١١ م ، رُبطَت فتاة إرلنديَّة إلى عمود إنارة ، وحُلِقَ شعرُها ، وصُبَّ عليها القار ، لأنَّها أقامت علاقة مع جندي بريطاني ، وهتف حولها ثمانون امرأة محقِّرات لها : « عاشقة الجنود » !؟! فتعهَّدت بالإقلاع عن فعلتها ، فهل فشلت حركة تحرير المرأة في إرلندة ؟!

ولكن مؤرِّخ (المدرسة الاستعماريَّة) لويس عوض ، سرَّه من الحملة الفرنسيَّة أنَّها رعت الفجور ، وحضَّت عليه ، وأفسدت المرأة المصريَّة .

بلد مُحْتَلٌّ مستَعْمَر ، ودخلت خَيْلُ المستَعْمِر الأزهر[٣٣] ، والثَّورات ضدَّ الفرنسيِّين تتوالى .. ومؤرِّخ

---

(٣٣) عندما قام الشَّعب العربي المسلم في ثورته ضدَّ الاستعمار الفرنسي ، المتمثِّل في الحملة الفرنسيَّة الَّتي قادها نابليون (Napoléon) .

(المدرسة الاستعماريَّة) جعل من إفساد المستَعْمِر لبضع عشرات من النِّساء ، عام تحرير المرأة !!

إفساد المرأة ، هدف رسمه أعداء الأُمَّة وسعَوْا إليه ، فكيف تنهض أُمَّةٌ من كبوتها عندما تزداد مهور الغانيات ، ويرخص ثمن السُّيوف ؟!؟

والعجيب الغريب ، أنَّ كلَّ من يتحدَّث عن تحرير المرأة ، لا يتحدَّث عن تعليمها إلى أسمى درجات العلم والاختصاص ، ولا عن إكرامها غاية الإكرام أمّاً وأُختاً وبنتاً وزوجةً .. بل تراهم يتحدَّثون ويسعَوْن إلى تعريتها : شخصيَّتنا المهزوزة سببها الحجاب الشَّرعي ، ويجوز لها أن تظهر عارية أمام محارمها ، ويجوز لها أن تعمل (رقَّاصة) ، وجلبابها البنطال ..

وهل أخذنا رأي المرأة المسلمة الملتزمة بحجابها الَّذي لم يجبرها أحد من البشر عليه ، أو يلزمها به ؟

تقول (بلسم عبد الملك)[٣٤] : « يقولون إن الحجاب في بعض الأقطار الشَّرقيَّة قد ألزم المرأة شيئاً من الجمود ، وضرب بينها وبين العلم والنُّور حجاباً كثيفاً مظلماً ، وينسبون إليه تأخُّرها عن شقيقتها الغربيَّة ، على أنَّنا لا نكاد نفقه معنى هذه النَّظريَّة السَّخيفة ، ولا نكاد نعلم من أمر الحجاب أكثر من أنَّه نطاق قد ضُرِبَ حول وجه المرأة وجسدها ، وليس له أدنى اتِّصال بعقلها وذهنها ، ولا أي تأثير على قواها المفكرة ومواهبها الغريزيَّة ، نعم إنَّه من التَّقاليد الدِّينيَّة ، وليس له مساس بما عدا ذلك ، وإذا كان له مساس بشيء من الشُّؤون ، فقد يكون أوَّلها الأخلاق الاجتماعيَّة ؛ أجل قد يكون له مساس باستبقاء حياء المرأة وعفَّتها ، وابتعادها عن مخالطة الجماهير اختلاطاً قد يذهب بشيءٍ من صفاتها الْخُلُقِيَّة ، وقد يكون حائلاً بينها وبين الانغماس في كثير من ملاهي الْمَدنيَّةِ الخدَّاعة ، بل قد يكون مدعاة لترفعها عن

(٣٤) (الهلال) السَّنة ٣٣ ، تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٩٢٤ م ، مقالة : المرأة الشَّرقيَّة ، ص : ١٤٣

التَّبرُّج الممقوت ، وإبداء زينتها بحالةٍ غير مشروعة ، وكلٌّ هذه لَعمري صفات يجب استبقاؤها لا في المرأة الشَّرقيَّة فحسب ، بل في سائر نساء المسكونة ، بصرف النَّظر عن سفورهن » .

وهكذا .. إنَّ إفساد المرأة وإخراجها من حشمتها وعفافها ، دعوة قديمة أيضاً ، روَّج لها (أساتذة المدرسة الاستعماريَّة) ، والهدف إفساد أُمَّة .

المرأة في الإسلام لها حقٌّ الحياة الكريمة مع رجل كان عازباً (فرداً) ، وصار (زوجاً) ، في كفَّتَيْن متكافئتين ، ضمن أُسرة ترفرف عليها المودَّة والرَّحمة ، ولها حقٌّ اختيار زوجها ، فهي بذلك تختار مدير هذه المؤسَّسة الصَّغيرة في عدد أفرادها ، الكبيرة في أهميَّتها في المجتمعات الإنسانيَّة .

وليس من معنى الحجاب احتباس المرأة في البيت والحيلولة بينها وبين الإنتاج والعمل ، فمفهوم الحجاب الاحتشام والعفَّة ، مع ستر مواضع الفتنة .

والإسلام مجتمع الجنسَيْن ، لا مجمع الجنس الـواحـد[٣٥] ، يقوم به كلٌّ من المرأة والرَّجل بواجباته الخاصَّة ، وهذا النِّظام يؤمِّن سلامـة المجتمع ورفـاهـه ، وهو في صـالـح جميـع أعضـاء المجتمع .

---

(٣٥) مجتمع الجنس الواحد حركة ظهرت في هـذا العصر ، تهـدف إلى توحيـد الأزياء والأحذية والأعمال والتَّصرُّفات والزِّينة بين الرِّجال والنِّسـاء ، [دائرة المعارف الأمريكية :١١١/٢٩] .

وتعاني المجتمعات العالميَّة ، الَّتي أفسدت المرأة وأخرجتها من حشمتها من أمور ، منها على سبيل المثـال : ١٢ مليون طفل بلا أب (غير شرعيِّين في أمريكـة في عـام واحـد ، ومليـون حـالـة إجهـاض في أمريكـة ، ومليونا حالة إجهاض سنويـاً في أوربَّة ، وثلاثة ملايين حالة إجهـاض سنويـاً في أمريكـة اللاَّتينيَّـة ، ٧٥٪ من الأزواج يخونون زوجـاتهم في أوربَّة ، ثمانية ملايين امرأة بـالغـة غير متزوِّجـة في بريطـانيَّـة ، ٩٠٪ منهنَّ يمـارسن الجنس ، وحـالـة طـلاق بين كلِّ حـالتي زواج في بريطانية ، تبلُغ حالـة في كلِّ سبع دقـائق من حـالات الاغتصـاب في المكسيـك ، وتقول الأوبزيرفر : إنَّ هـذا الرَّقم لا يمثِّل سوى ١٠٪ فقـط من حـالات الاغتصـاب ، لأنَّ (البـوليس) متـواطئ أيضـاً في هـذه الحـالات ، أسرة من كلِّ عشر أُسَر أمريكيَّـة تمـارس نكاح المحـارم ، ناهيـك عن إحصـائيَّـات المصـابين بمرض الإيـدز المخيفـة ، [(رسـالـة الجامعة) ، العدد ٢٨٧ ، السَّبت ١٩٨٥/٩/٢٨ ، ص : ١٢] .

وأخيراً ..

« إنَّ هـذا القرآن حبـل الله ، والنُّـور المبين ، والشِّفـاء النَّـافع ، عصمـة لمن تمسَّك بـه ، ونجـاة لمن اتَّبعـه ، لا يـزيـغ فيستعتب ، ولا يعـوجُّ فيقـوَّم ، ولا تنقضي عجـائبـه ، ولا يَخْلَق من كثرة الرَّد » .

ويقـول ﷺ : « عليكم بسنَّتي وسُنَّـة الخلفـاء الرَّاشـدين المهديِّين ، عضُّوا عليها بالنَّواجذ ... »[٣٦] .

وهذا الدِّين محفوظ من منزِّله سبحـانـه وتعـالى : ﴿ إِنَّـا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَـافِظُونَ ﴾ ، [الْحِجر : ٩/١٥] ، لا تضعفه هجمات ، ولا تهمُّه هزَّات ، فكم مثل هجمات وهزَّات (القراءات المعاصرة) مرَّت عليه ، وخرج منها أقوى ممَّـا كان قبل تلاشي الزَّوبعة وهدوئها .

---

(٣٦) رواه أبـو داود [رقم : ٤٦٠٧] ، والتِّرمـذي [رقم : ٢٦٧٦] وقـال : حديث حسن صحيح ، [متن الأربعين النَّوويَّة] .

وستبقى في عقيدة كلِّ مسلم مثقَّف مطَّلع ، الثَّوابت الأساسيَّة لفهم الإسلام :

١ً ـ القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهَّرة ، هما مرجع كلِّ مسلم في تعرُّف أحكام الإسلام .

٢ً ـ كلُّ ما جاء به السَّلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسُّنَّة قبلناه ، وإلاَّ فكتاب الله ، وسُنَّة رسوله أَوْلَى بالاتِّباع .

٣ً ـ يُفْهَمُ القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللُّغة العربيَّة من غير تكلُّف ، ولا تعسُّف ، ويُرجع في فهم السُّنَّة المطهَّرة إلى رجال الحديث الثِّقات ، لأنَّ قواعد علوم الحديث قواعد نقد شاملة ، تَدْرُسُ جوانب الحديث كلَّها دراسة تامَّة دقيقة ، وهي ترتبط في مجموعها برباط وحدة الهدف ارتباطاً يشكِّل منها نظريَّة نقديَّة ، ومنهجاً علميّاً كاملاً ، وجهود المحدِّثين في حقل تطبيق هذا المنهج النَّقدي العظيم ، قد وصلت إلى

الهدف المنشود[37] ، ولو تعامى ، أو تجاهل ذلك أصحاب (القراءات المعاصرة) ، علماً أنَّ (مصطلح التَّاريخ) الَّذي قدمته حضارتنا إلى العالم ـ مع كلّ ما قدَّمت وأهدت ـ علم انبثق في أُصوله عن علم (مصطلح الحديث)[38] .

قال الدَّارقطني : « ياأهل بغداد ، لاتظنُّوا أنَّ أحداً يقدر أن يكذب على رسول الله ﷺ وأنا حيٌّ » .

وقال عبد الله بن المبارك حين سُئِل عن الأحاديث الموضوعة : « تعيش لها الجهابذة » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن علية : أخذ هارون الرَّشيد زنديقاً ، فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزِّنديق : لِمَ تضرب عُنقي ؟

---

(٣٧) انظر (منهج النَّقد في علوم الحديث) ، الدُّكتور نور الدِّين العتر ، ص : ٤٧٣ وما بعدها ، طبعة دار الفكر (١٩٨٥) .

(٣٨) انظر كتاب (مصطلح الحديث) لأسد رستم ، المطبعة العصريَّة ـ صيدا .

قال الرَّشيد له : أُريح العباد منك .

قال الزِّنديق : فأين أنتَ من ألف حديث وضعتها على رسول الله كلّها مافيها حرف نطق به ؟

قال الرَّشيد : فأين أنت ياعدوّ الله من أبي إسحاق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ، فينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً[٣٩] .

٤ ـ الأحكام الَّتي لانصَّ فيها ، وما ورد فيه نصٌّ يحتمل عدَّة أوجه ، والمصالح المرسلة ، متروكة لاجتهاد علماء المسلمين ، وقد تتغيَّر بحسب الظُّروف والعُرف والعادات المستندة إلى روح الشَّريعة وحِكَمها ومقاصدها .

٥ ـ الإسلام يحرِّر العقل ، ويحثُّ على النَّظر في الكون لاكتشاف قوانينه ، والسَّير في الأرض بحثاً عن أسرار الْخَلْق : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ

(٣٩) تذكرة الحفَّاظ : ٢٥٢/١ ، تاريخ الخلفاء ، ص : ٢٩٣

يُنْشِئُ النَّشْـــأَةَ الآخِرَةَ إنَّ اللهَ عَلَى كُــلِّ شِيْءٍ قَـــدِيرٌ ﴾ ،
[العنكبوت : ٢٩/٢٠] .

والإسلام يرفع قَدْرَ العِلْم والعلماء ، ويرحّب بالصَّالح النَّافع من الأفكار ، والحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها .

واستناداً لمحاكمة عقليَّة سليمة يرى المسلم أنَّه ليس كلُّ جديد (مبهرج في قراءات معاصرة) يؤخَذُ ، وليس كلُّ قديم (مُحْكم ثابت منهجاً ودراسةً) يُنْبَذُ .

☆ ☆ ☆
☆ ☆
☆

خَاتِمَةٌ :

« إذا انتهت الحروب الصَّليبيَّة بلا جدوى ، ولم يستطع التَّتار اقتلاع جذور الإسلام ، فلتكن حرب الكلمة » .

من روائع الإسلام موضوعيَّته في أحكامه ، حتَّى بحقّ أعدائه ومناهضيه ، لا يظلمهم ، ولا يقول ما ليس فيهم ، وإن قال ما فيهم ، فهو لا يبتغي في حواره تجريحاً ولا تشهيراً ، إنَّما يريد الوصول إلى حقيقة يؤيِّدها العقل النَّاضج ، ويقرُّ بها الفكر النَّزيه ..

ونحن في هذه الخواطر السَّريعة تكلَّمنا عن منهج ، ولم ننقد مضموناً ، لقناعتنا بأنَّ سقوط أركان المنهج وتداعيها ، يكفي لسقوط المضمون ، وما الفائدة من مناقشة الآراء إذا سقط المنهج ؟!

وتحضرني قصَّةُ ذاكَ الرَّجل الطَّيِّب ، الَّذي أراد السَّفر ، وقرَّر أن يودع ثروته عند رجل أمين ، يحفظ له وديعته . عَلِمَ بذلك محتال ، فراح يتخشَّع في صلاة لم يكن يؤدِّيها من

قبل ، يطيـل قراءتـه ، ويطيـل سجـوده ، ويطيـل دعـاءه بعدها ، تقدَّم الرَّجلُ الطَّيِّبُ من المحتال ليودع ثروته عنده ، فلمَّا اقترب منه ، قال المحتال : أنا لاأُصلِّي بخشوع فقـط ، بل وأصوم كلَّ يوم إثنين وخميس من كلِّ أُسبوع أيضاً .

استردَّ الرَّجلُ الطَّيِّبُ ماله ، وقال للمحتال :

أعجبتني صلاتُكَ ، وخوَّفني صومُكَ .

فيا أصحاب (القراءات المعـاصرة) ، أعجبتني عبـاراتكم المُنَمَّقـة ، الَّتي تتحـدَّث عن العلم والعلميَّـة وخـوَّفني جمـودُكُم أمام عقيدة سقطت (عالميّاً) بين النَّظريَّة والتَّطبيق .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ☆ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، [التَّوبة : ١٠٩/٩ و ١١٠] .

صَدَق اللهُ العظيم .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ ، [الرَّعد : ١٧/١٣] .

والحمد لله ربِّ العالمين ، أوَّلاً وآخراً .

☆ ☆ ☆

دمشق الشّام : ٢٦ ربيع الآخر ١٤١١ هـ
الموافق : ١٤ تشرين الثّاني ١٩٩٠ م

الدكتور شوقي أبو خليل

المحتوى

تم طبع هذا الكتاب بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠م
عدد النسخ (١٥٠٠)